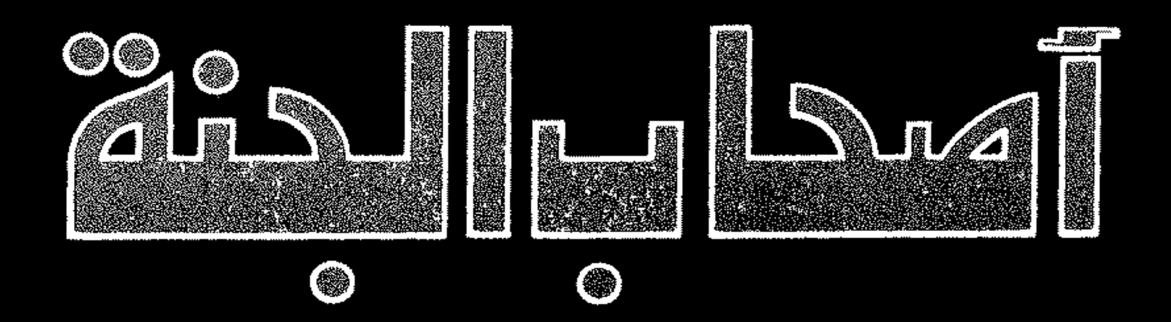
قصص القرآن



قلم: أحمد بهجت ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

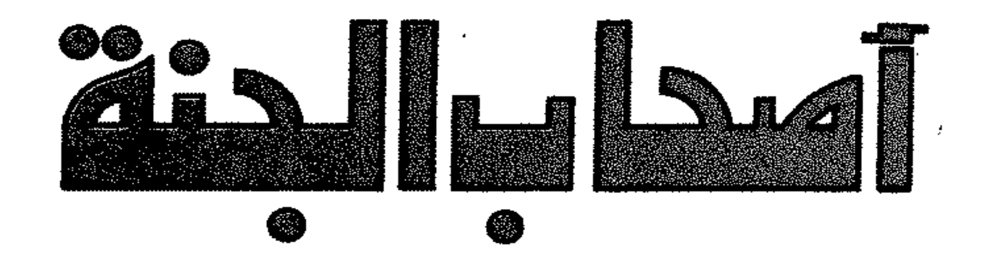
الطبعــة الأولــى
١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

الطبعــة الثانيــة
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

الطبعــة الثالثــة
١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م

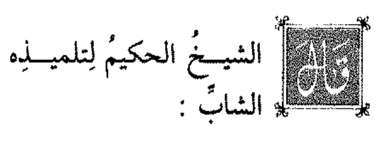
© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LB

قصص القرآن



قلم: أحمد بهجت   ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق



الشيـخُ الحكيـمُ لِتلميـذِه الشابِّ :

ــ تُشبِه أيامُ الـدُّنيا ولَيـاليها أوراقـاً في آمتحانٍ تَتعاقبُ أسئِلَتُه .

ومـا أكثرَ المـواقف التي تَمُرُّ بنـا في الحياةِ فلا نعرفُ أنها كانتِ آمتِحانـاً إلا بعد أن تَمضي بزمنٍ . .

سكتَ التلميـذُ وهـزَّ رأسَـه وهـو يعجبُ . . كيف تكـونُ أحداثُ الـدُّنيا أسئلةً في آمتحانٍ ، وكأنمـا قرأَ الشيخُ أفكارَ تِلميذِه فقال :

ــ تَختـلفُ أَسئلةُ الامـتحـانِ فـي الـدُّنيـا عن أَسئِـلة الامتحـانِ فـي المَـدارسِ . . إن الغِنَى والفَقرَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بـهـا عِبـادَه ، والـصِّحـةَ والمَرضَ أَسئِلةٌ يَمتحنُ الله بها عِبـادَه ، وكـذلكَ الحُـزنَ والسُّـرورَ ، والـرِّضـا والغضبَ ، والإيمانَ والكفرَ . .

كلُّ ما يقعُ للإنسانِ . . كلُّ ما يمرُّ به الإنسانُ . . كلُّ أحـداثِ حياتِـه ليست سِـوى أَسئلةٍ تكشفُ عن حقيقةِ جـوهرِه وأَصلِ مَعدنِه .

سـأَلَ التلميـذُ : كيف يكـونُ الغِنَى آمتِحاناً ويكونُ الفقرُ آمتِحاناً ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : إن ثروةَ الغَنِيِّ هي أَسئلةُ آمتحـانِـه . . إذا شكـرَ الله علَيها وأَعطى منها وتصدَّق ، فقد آجتازَ آمتحـانَه ونجـحَ ، وإذا حـرص عليهـا وبَخلَ بها فقد رسبَ . .

وفقرُ الفقيرِ هو آمتحانُـه . . إذا صبرَ على الفقـرِ وسـأَل الله جـازَ ، وإن لم يصبرْ هوَى . . هل فهمتَ ما أَقول ؟

قالَ التلميذُ : فهمتُ . .

قـالَ الشيخُ الحكيمُ : هـل أدُلُّـكَ على سبيـلٍ لاجتيازِ آمتحـانِ الحيـاةِ ؟ إنـه التَّسبيـحُ . . إن تَسبيـحَ الله تبـاركَ وتعالَى وآستغفارَه طريقٌ إلى الرِّزقِ كما أنه طريقٌ لاجتيازِ البَلاءِ . .

قـالَ التلميـذُ لأستـاذِه : فهِمنـا أنـه طـريقٌ لاجتيازِ البـلاءِ . . كيف يكـونُ طريقاً إلى الرزقِ ؟

قالَ الشيخُ الحكيمُ : ألَم تَقرأْ قولَـه تعـالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰ آمَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ ؟

آستمـعْ إلى قِصَّـةِ أصحـابِ الجنـةِ التي قصَّهـا علينـا الحقُّ عـزَّ وجـلَّ في كتابِه . .

في قديمِ الزمانِ . . وسالفِ العصرِ والأوانِ . . عاشَ مَجموعـةٌ من الإخوةِ الأغنياءِ . . كانوا يَملِكونَ حديقةً رائعةً تَمتلئُ بـالـزُّروعِ والثِّمـارِ والفَـواكهـةِ والأشجارِ والوُرودِ . .

وكانَ هؤلاءِ الإخوةُ مَشهورونَ بأنهم أَصحـابُ الجنـةِ . . سمَّـى النـاسُ حـديقَتَهم بـالجَنـةِ من فـرطِ جَمـالِهـا وخَصبِهـا . . وآقتـربَ وقتُ الحَصـادِ فخـرجَ أَصحابُ الجنـةِ يتأمَّلونَ أنـواعَ الفـاكِهـةِ والثِّمـارِ ، وجمـالَ الـوُرودِ والزُّهورِ . . وأنواعَ الطيرِ والحيوانِ .

كـان واضِحاً أن الجنـةَ قـد أثمـرتْ بسخاءٍ عظيمٍ هذه السنةِ . .

آنتهَـى الإخـوةُ من طَـوافِـهِم فـي الجنـةِ . وعَـادُوا إلى غُـرفـةِ طَعَـامِهِم وجَلسـوا يأكُلونَ . . أمـروا ألّا يَـدخُـلَ عليهم أحدٌ . .

كـان المَحصولُ وفيـراً أكثـرَ من أيِّ وقتٍ مضى..وكانوا سُعداءَوهم يأكلونَ . .



قـالَ الأخ الأكبَـرُ : غَـداً نجمـعُ المَحصولَ .

قالَ الأخُ الأصغرُ: لقد صِرنا أغنياءَ ..

ووضعَ الأخُ الأكبرُ من يـده قِـطعةَ البطِّ التي كان يأْكُلها وقال : لا نُريدُ أن نُعطيَ الفُقراءَ شيئاً حتى لا ينقُص من مالِنا شيءٌ ..

قال الأخُ الأوسطُ : لكنَّنا آعتدنا أن نَتصدَّقَ كلَّ عامٍ بشيءٍ من الثمرِ والقمح ..

قـالَ الأخُ الأصغـرُ : لن يحـدُثَ هـذا .. يكفي مـا تَصـدَّقنا بـه في الأعوامِ السابقةِ ..

قالَ الأخُ الأكبُر : أنا أتفقُ معك .. لقد صِرنا أغنياءَ ، ولا نُريدُ أن نُفرِّطَ في مالنا أو نخسرَ منه شيئاً ..

قالَ الأخُ الأوسطُ: لكن هذا حرامٌ .

ضحِكَ الأخُ الأكبرُ هـازِئاً وآشتـركَ معه الأخُ الأصغرُ في الضَّحـكِ .. قالا لأخيهمـا : دَعنـا من أفكـارِ الحـرامِ والحَـلالِ .. نحن الآنَ أغنيـاءَ .. لا شيءَ يهمّنا ..

قـالَ الأخُ الأوسطُ : سمعتُ شَيخاً صَـالِحـاً في المسجـدِ يقـول : إن مَن تَصدَّق ببعضِ أموالِه باركَ الله لـه فيما يبقَى ..

قـالَ الأخُ الأصغـرُ : مـاذا نفعـلُ بـالبَركـةِ فيمـا يبقَى ؟ نحن نُـريدُ كـلَّ شيءٍ ..

قـالَ الأخُ الأكبـرُ : لقـد حصلتِ البركةُ وآنتَهى الأمرُ ..

ألم تَروا الجنةَ وأشجارَها تَنحني من كثرةِ الثِّمارِ ؟

آتفقَ الإخـوةُ أنهـم لـن يُعـطوا المسـاكينَ شيئاً هـذا العـامِ .. أمـروا

بإحضارِ رئيسِ الحرسِ وقالوا له : أغلقْ أبوابَ الحَديقةِ جيداً من الآن . . ولا تَفتحوا غداً لأيّ طارقٍ . .

قالَ الحارسُ : ولكن غداً هو يومُ الحصادِ ، وقد اعتدتُم أن تُعطوا المَساكينَ الذين يَحضُرونَ من القُرى المُجاورَة . .

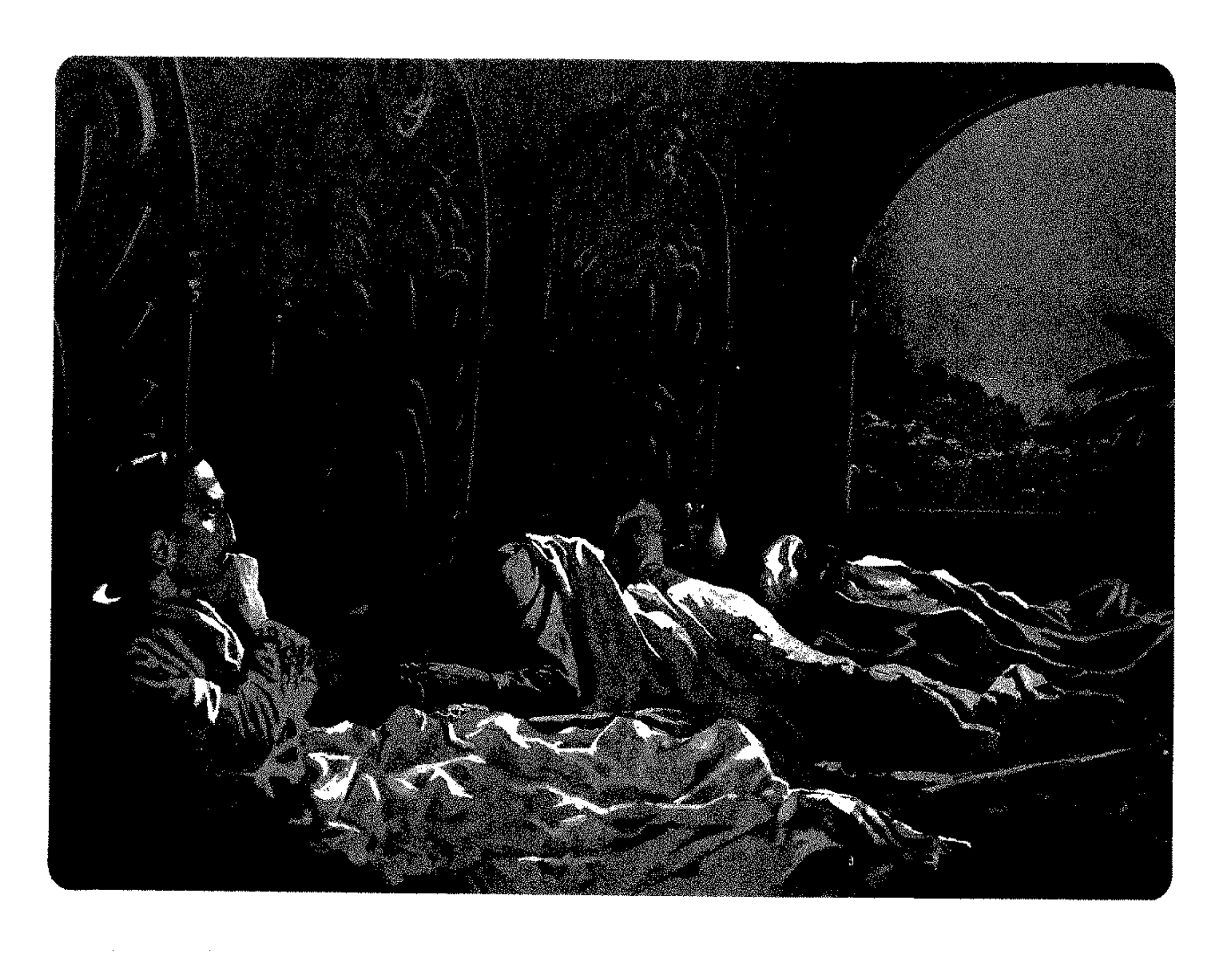
قالَ الأخُ الأكبرُ : لن نُعطي أحداً هذا العام . . أغلقِ الأبوابَ ولا تَفتحْها لأيّ مِسكينٍ .

هل فهمتَ ؟

هزَّ الحارسُ رأسَه بالإيجابِ وانصرفَ عائِداً إلى مكانِه .

جاءَ الليلُ على الإخوةِ الثلاثةِ أصحاب الجنةِ .

نامَ الأخُ الأكبرُ والأصغرُ وهما يَحلمانِ بالذهبِ والجَواهرِ والملابِس الجديدةِ والثراءِ .



كانَ قَرارُهُما بمنعِ التَّصدُّقِ على الفُقراءِ يُسعدُهُما تَماماً . . أما الأخُ الأوسطُ فقد وافقَهما مُضطرًّا ، وحاولَ هذا الأخُ أن ينامَ ولكنه ظلَّ قَلِقاً لا يَحسُّ رغبةً في النومِ . . كانَ يَحسُّ بالألمِ لِموقفِ أخوَيْهِ من الفُقراءِ ، وكانَ يَحسُّ أنه سكتَ على ظُلمِ أخويهِ فصارَ ظالِماً هو الآخر . .

أخيراً أدركَه النُّعاسُ فأغمضَ عينَيهِ ونامَ . .

نامَ أصحابُ الجنةِ . . ونامَ الحارسُ ونامتِ الطيورُ والأشجارُ وهجعَ كلُّ شيءٍ . .

لكنَّ اللهَ سبحانَه لا تُدرِكُه سنةٌ ولا نومٌ . . أمر اللهُ تعالَى واحِداً من جُنودِهِ أن يُدمِّرَ الجنةَ . .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

لا أحدَ يَدري من هو هذا الطائفُ . . لا أحدَ رآه أو سمِعَه أو تنبَّه إليه أو أحسَّ به أو شعرَ بوُجودِه . . كان هذا الطَّائفُ جُنديّاً من جنودِ الله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ . .

كان هذا الطائفُ الخفيُّ الغامِضُ يمرُّ بالأشجارِ المُثمِرةِ فَتذوي وتموتُ ، كان يُشيرُ إلى الثمارِ فَتسقُطُ دون صوتٍ وتَتعطَّنُ قبل أن تمسَّ الأرضَ . .

كان لا يمسُّ بيدِهِ شجرةً أو يُشيرُ لجزءٍ من الجنةِ حتى يموتَ الزرعُ وتفسدَ الثمارُ ويَسقط كلُّ شيءٍ على الأرضِ دون صوتٍ . ظل الطائفُ يطوفُ بالجنةِ فلم يتركْ فيها شجرةً قائمةً أو نباتاً حياً أو طيراً أو ثمرةً أو حيواناً أو زهرةً .

مات كلُّ شيءٍ وذبلَ كلُّ شيءٍ وهلكَ كلُّ شيءٍ وأصبحتِ الجنةُ كالصَّريمِ . . صارتْ خَراباً . .

وآختفَى الطائفُ فجأةً كما ظهرَ فجأةً . .

ومرتْ ساعاتٌ وجاءَ الصباحُ فآستيقظَ الإخوةُ .

كانوا سُعداءَ بآستِثناءِ الأخِ الأوسطِ . . كانت عيناهُ مُنتفِختينِ من قلَّةِ النومِ . . وكان وجهُه شاحِباً مُمتقِعاً . .

أفطر الإخوةُ وتَهيَّؤوا للخُروجِ لجمعِ المحصولِ . .



آنطلقُوا وهم يَتحدَّثونَ بصوتٍ خافتٍ : لن يدخُلَ علينا اليومَ مِسكينٌ . . سيبقَى لنا كلُّ شيءٍ . . ولن نتصدَّقَ بشيءٍ . . كانت فِكرةُ الثراءِ تَملؤُهُم بالسعادةِ . . كان آمتحانُهم كأغنياءَ قد آنتهى . . وبقي تَصحيحُ أوراقِ الإجابةِ .

خَرجوا إلى الجنةِ لجمعِ المَحصولِ فَفُوجِئوا بما حدثَ . . لم يكن هناكَ مَحصولٌ ولا ثمرٌ ولا فواكهَ ولا زهورٌ ولا قمحٌ ولا طيورٌ . . لم يكن هناكَ غير هذه الأخشابِ الميتةِ والعَطَنِ المُتعفِّنِ والخَرابِ الشاملِ . .

صرخوا بالدَّهشةِ والويلِ . . ضربوا كفًّا على كفٍّ . .

ماذا حدثَ . . ؟

وكيف حدثَ ما حدثَ ؟

كانت الجنةُ بالأمسِ جنةً فكيف تَهلكُ في ليلةٍ واحدةٍ ؟

صرخَ الأخُ الأكبرُ وهو يَفركُ عينيهِ ولا يُصدِّقُ ما يراهُ : ليست هذه جنَّتنا . . لقد ضَللنا الطريقَ إليها . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : هذه جنَّتُنا وقد هَلكتْ . . آنتهَى الأمرُ .

قالَ الأخُ الأكبرُ وهو يعولُ ويَصرخُ : نحن مَحرومونَ إذن . . ولم نَضلِ الطَّريقَ .

قالَ الأخُ الأوسطُ : ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ** ﴾ . .

﴿ **قَالُوا : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ . .

آعترفَ الإخوةُ بِخَطئِهِم بعد أن أدركوا ما حدثَ . .

وبدأ كلُّ واحدٍ يُلقي اللَّومَ على الآخر.

قالَ الأخُ الأكبرُ للأخِ الأصغرِ : لقد ضِعنا بسبَبِكَ . .

وقالَ الأصغرُ للأكبرِ : كان الاقتراحُ آقتـراحَـك أَنت . . لقـد رَفَضتَ أن تُعطيَ المساكينَ . .

ومضى الجِدالُ بين الإخوةِ فراحَ كلُّ واحـدٍ يُلقي اللومَ على الثـاني ، حتى تحوَّلَ الجدلُ إلى خصامٍ . . وتحدَّثَ الأخُ الأوسطُ الـذي نَصحَهم قبل ذلـك بالتّسبيحِ .

قـالَ لهم : لقد قـادَنـا الجِـدالُ إلى الخِصـامِ . . وهـذا مـا كنتُ أخشـاهُ وأحسبُ حِسابَه . . لقد آشترَكنا جَميعاً في جريمةٍ واحدةٍ ، إن أحدَنـا قد فكَّـر في الجريمةِ ، ولكننا جَميعاً قد آشترْكنا فيهـا ، سـواءٌ بـالمَـواقِفِ أو بعـدمِ الاعتراضِ الجَدِّي . . دعونا الآن مما حـدثَ ، ولِنَتـأمَّـل الـدرسَ فيمـا حدثَ . .

لـمـاذا عـاقَـبـنـا اللهُ تـعـالَـى بالحِرمانِ . . ؟

قـالَ الأخُ الأكبرُ : كـان طُغيانُنـا هو السَّبب .



قالَ الأخُ الأصغرُ : نعم . . لِنعترفَ بذلك .

قـالَ الأخُ الأوسطُ : لقـد قـرَّرنـا حِرمانَ المساكينِ من الصدقةِ . . كانت هذه جَريمتَنا الأُولى ، ولكنها نَبعتْ من جريمةٍ ثانيةٍ أَشـد . . لقد كُنـا نَعتقدُ أن العطاءَ من المالِ يُنقصُ المـالَ . . لقد كُنّـا بُخلاءَ . . وآكتشفنـا أن البُخلَ هـو الذي يُضيِّعُ المالَ لا الصدقةَ . .

قالَ الأخوانِ الأكبرُ والأصغرُ : لقـد ظَلمنـا أَنفُسَنـا بـالبُخـلِ . . وظَلمنـا المَساكينَ بالحِرمانِ . .

قـال الأخُ الأوسطُ : وبسببِ هـذا الظُّلمِ حَرَمنا الله تعالَى من كلِّ شيءٍ .

قالَ الأخُ الأكبرُ: ما هو الحلُّ الآن ؟

قـالَ الأخُ الأوسطُ : التَّوبـةُ . . هي الحلُّ الآن . .

تساءَلَ الأخُ الأصغرُ : كيف ؟

قـال الأخُ الأوسطُ : نَرجعُ إلى الله بالاعتذارِ . . والنَّـدمِ . . نَستغفِرُه من ذَنبِ الاعتقـادِ بـأن العَـطاءَ من المـالِ يُنقصُ المـالَ . . ونتـوبُ إليـه من خَطيئتِنا وبُخلِنا . .

سأَلَ الأخُ الأكبرُ : هـل تظنُّ أن الله يَقبلُ تَوبتَنا ؟

قـالَ الأخُ الأوسطُ : إن الله تعـالَى وعدَ بقبولِ التوبةِ إذا كانت صادقةً . .

قالَ الأخُ الأصغرُ : إن جَريمتَنا أكبرُ من أَن يَغفِرَها الله لنا .

قال الأخُ الأوسطُ : هذا ذنبُ جديدٌ تَرتكِبهُ . . أن تعتقـدَ أَن جَريمَتـكَ أكبرُ من عفوِ الله أو غُفرانِـه . . إن رحمةَ الله وَسعتْ كلَّ شيءٍ . .

وآستمرَّ حوارُ الإخوةِ حتى عَرفوا أن مـا وقـع لهم كـان جُـزءاً من عــذابِ الدُّنيا ، وأَدركوا أن عذابَ الآخـرةِ أكبرُ وأشـدُّ ، ومن ثم فقـد تـابـوا إلى الله وآستغفَروه وسبَّحوهُ . .



وتـابَ الله عليهم فعادتْ جَنَّتُهم إلى الحياةِ وعادتْ ثِمارُها تَزدهِرُ . .

وكـان يومُ حصـادِ المَحصولِ عيـداً لكُلِّ الفُقراءِ والمساكينِ في المنطقـةِ ، فقـد كان أَصحـابُ الجنـةِ يُكـرِمـونَهم ويُعـطونَهم نصفَ محصـولِ الجنـةِ ، وكــان الله يبـاركُ لهم فيمـا آتـاهُم ويَزيدُهم من فضلِه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ
۝ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝ أَنِ
اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ۝ فَانطَلَقُوا وَهُمْ
يَتَخَافَتُونَ ۝ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝ وَغَدَوْا
عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۝ بَلْ
نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
۝ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝ عَسَىٰ رَبُّنَا
أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيم